Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الأعمال والأحداث والسلوك، فلماذا استثني اليهود من توصيفات سرفانتس غير اللائقة. وهل بمقدور المرء أن يشك بأن ناشر هذه الرواية (دون كيشوت) كان من اليهود الذين ظلوا في أسبانية بعدما تنصّروا من أجل المحافظة على أملاكهم، وأنه هو من قام بحذف كل ما يسيء إلى اليهود، وذلك لقناعتنا التامة بأن سرفانتس لم يشرف على تصحيح تجارب الطباعة الأولى لكتابه لأن الأغلاط، وحالات السهو والانقطاع، وعدم ترابط الأحداث ودقتها... جميعها موجودة بكثرة في الرواية، وربما قادنا هذا الشك إلى القول إن سرفانتس نفسه هو من قام بحذف كل ما يسيء إلى اليهود أو كل ما يربطهم كشركاء أو محالفين للعرب، تمشياً مع رغبة ناشر روايته هذه.

إنني أعرف، ويعرف القارئ الكريم، أن نقاد أوربا جميعاً غير معنيين بلفت الانتباه إلى قصدية سرفانتس في الإساءة إلى الشخصية العربية ذلك لأنهم حمّلوها -أي القصدية- على حاملين، الأول: العدائية الهائلة التي روّج لها الأسبان بعد خروج العرب من أسبانيا، وأنها قصدية لا تقاس أو لا يشار إليها لضآلتها، والثاني: السخرية والتهكم، أي أن ما أشار إليه سرفانتس من صفات قد تسيء للعرب، لا يأتي ذكرها إلا من أجل التهكم والسخرية وحسب، وليس من أجل الاقتصاص أو الأذى والحط من قيمتهم. ولكن هل بمقدورنا نحن العرب عندما نقرأ هذا الكتاب أن نحمّل تلك الصفات البشعة (والتي يطال بعضها شخص النبي الكريم عليه الصلاة والسلام) على حاملي العدائية المستحكمة أولاً، والسخرية والتهكم ثانياً، أبداً ليس بمقدورنا ذلك لأن تكرار تلك البذاءات والتوصيفات السيئة والصاقها بالشخصية العربية يعني القصدية وليس الفكاهة العابرة، كما يعني العدائية وانخراط سرفانتس في حمّى التنكر للحضارة العربية واتهامها بما لم تعرفه قط.

إنني حاولت، قدر استطاعتي، الكشف عن بعض المستبطن في رواية (دون كيشوت) ليس من أجل تنفير الناس منها، وخصوصاً القراء العرب، وإنما من أجل التنبيه إلى حاجتنا الماسة للإحاطة الشاملة بالثقافة والطروحات التي تمس التاريخ العربي، والشخصية العربية، وعدم القبول باستمرارية الآراء الثابتة حول تلك الثقافة والطروحات معاً منذ مئات السنين وحتى يومنا هذا، وربما إلى ماشاء الله من أيام قابلة دون أن نكلف أنفسنا جهداً من أجل إعادة النظر فيها وبأعيننا نحن لا أعين غيرنا.

□□□